مجلة جامعة الملك سعود، م ٢، الآداب (١)، ص ص ٣ - ٣٥ (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)

قصة نقد أم جندب لامرىء القيس وعلقمة الفحل

محمد بن عبدالرحمن الهدلق

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث. يتناول هذا البحث قصة تنازع امرىء القيس وعلقمة الفحل في أيهما أشعر، ثم تحكيمهما لأم جندب، وطلبها منهما أن ينظما شعرًا في موضوع حددته لهما، ثم ما أعقب ذلك من حكمها على شعرهما. لقد نقلت إلينا هذه القصة بروايات مختلفة. وقد تتبع الباحث هذه الروايات، وقارن بينها، وناقش آراء النقاد فيها. وقد تعرض الباحث لما أثاره بعض الدارسين من نفي معاصرة علقمة لامرىء القيس، ورأى أن هذا النفي ليس له سند يدعمه. وناقش الباحث بعد ذلك حكم أم جندب على الشاعرين، ثم عقد مقارنة بين القصيدتين اللتين أنشدهما الشاعران أمام أم جندب وذلك بغرض الكشف عن بعض الأبيات المشتركة بينهما.

دأب دارسو النقد الجاهلي على القول بأنه كان عبارة عن ملاحظات مختصرة تتصف بالارتجال والبعد عن التعمق، إذ لم تكن لدى الجاهلي مقاييس نقدية متطورة يحكم بها على الشعر وإنما جاءت معظم أحكامه استجابة فطرية للتأثر الوقتي الذي يحسه في حال إنشاد القصيدة أمامه.[1]

(١) انظر مثلاً: طه أحمد إبراهيم، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب* (بيروت: دار الحكمة، د. ت.)، ص ١٨؛ بدوي طبانة، *دراسات في نقد الأدب العربي*، ط ٤ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م)، ص ص ٤٦، ٥٣؛ عبدالعزيز عتيق، *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*، ط ٣ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٤م)، ص ٢١؛ محمد طه الحاجري، *في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية* (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٢م)، ص ١٨؛ عبدالرحمن عثمان، *معالم النقد الأدبي* (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٦٨م)، ص ٩١.

وقد حفظت لنا كتب الأدب نماذج كثيرة من هذه الملاحظات النقدية التي تعزز ما أشار إليه هؤلاء الدارسون. ولكن وجدت بجوار تلك الملاحظات النقدية الكثيرة ملاحظات قليلة اشتملت على بعض المقاييس النقدية المهمة. وهذه المقاييس، إن كانت صحيحة النسبة إلى أصحابها، تمثل تطورًا مهمًّا في نقد الشعر الجاهلي. ومن هذه الملاحظات ما تداولته كتب الأدب من حكم أم جندب الطائية بين امرىء القيس وعلقمة الفحل في أيهما أشعر. وقد نُقِلَت إلينا القصة بروايات مختلفة بعضها مختصر وبعضها مفصل، وبعضها يذكر سند الرواية وبعضها يهمل ذكره.

سنحاول في الصفحات الآتية تتبع روايات هذه القصة في المصادر التي اهتدينا إليها وسنرتبها بحسب أقدمية المصادر التي أوردتها.

لعل أقدم المصادر التي دونت هذه القصة ـ حسب معرفتنا ـ هما كتابا *الشعر والشعراء*، و*المعاني الكبير* لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، فقد ذكر ابن قتيبة في ترجمته لعلقمة بن عبدة في كتاب *الشعر والشعراء* سبب تلقيب علقمة الفحل بهذا اللقب فقال:[٢]

---

(٢) عبدالله بن مسلم بن قتيبة، *الشعر والشعراء*، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مج ١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م)، ص ص ٢١٨ ـ ٢١٩. وقد أورد ابن قتيبة في هذا المصدر رواية أخرى مشابهة لهذه، وفيما يلي نصها:

.. .وهو الذي يقال له الفحل، وكان ينازع امرأ القيس الشعر، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فقال علقمة: قد حَكَّمْتُ امرأتك أم جندب بيني وبينك، فقال: قد رضيت. فقالت أم جندب: قولا شعرًا تصفان فيه الخيل على روي واحد، وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس قصيدته التي أولها:

خليلي مُرَّا بي على أم جندب نقضِّ لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة قصيدته التي أولها:

ذهبت من الهجران في غير مذهب . . . البيت

ثم أنشداها جميعًا، فقالت لامرىء القيس: علقمة أشعر منك قال: وكيف؟

قالت: لأنك قلت: فللسوط ألهوب، البيت. فجهدت فرسك بسوطك وزجرك، فأتعبته بساقك، وقال علقمة:

فولى على آثارهنَّ بحاصب وغيبة شؤبوب من الشَّد مُلْهب

فأدركهُنَّ ثانيًا. . . . البيت =

وسمي بذلك لأنه احتكم مع امرىء القيس إلى امرأته أم جندب لتحكم بينهما، فقالت: قُولا شعرًا تصفان فيه الخيل، على روي واحد، وقافية واحدة، فقال امرؤ القيس:

خليلي مرّا بي على أم جنـدَب لنـقضيَ حاجـات الـفـؤاد المعـذَّب

وقال علقمة:

ذهـبت من الهجـران في كل مذهب ولم يك حقّـا كل هذا الـتـجـنـب

ثم أنشداها جميعًا، فقالت لامرىء القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف ذاك؟ قالت لأنك قلت:

فللسّـوط أُلْهُـوب ولـلـسـاق درّة وللزّجـر منـه وقـع أخـرج مهْـذب

فجهدت فرسك بسوطك، ومريته بساقك وقال علقمة:

فأدركـهـنَّ ثانـيًا من عنـانـه يمـرّ كَمَـرّ الـرائـح المـتـحـلّب

فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضربه بسوط، ولا مراه بساق، ولا زجره، قال: ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق، فطلقها فخلف عليها علقمة، فسمي بذلك «الفحل» ويقال: بل كان في قومه رجل يقال له علقمة الخصي، ففرقوا بينهما بهذا الاسم.

وقال ابن قتيبة في *المعاني الكبير* معلقًا على قول امرىء القيس:[٣]

فللسـوط أُلهـوب ولـلـسـاق درة وللزجـر منـه وقـع أخـرج مهـذب

وروى أن امرأ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل تنازعا الشعر إلى أم جندب، امرأة امرىء القيس، وادعى كل واحد أنه أشعر من صاحبه، فقالت: قولا شعرًا في صفة الخيل، على روي واحد، فقال امرؤ القيس شعرًا هذا البيت فيه، وقال علقمة شعرًا فيه:

فأدرك طريدته وهو ثان من عنانه، لم يضربه بسوطه، ولم يمره بساقه، ولم يزجره، فقال لها: ما هو بأشعر مني ولكنك له عاشق! فطلقها وخلف عليها علقمة، فسمى «الفحل» لذلك.

ويقال إنه قيل له «الفحل»: لأن في رهطه رجلاً يقال له: علقمة الخصي. وهو علقمة بن سهل، أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ويكنى أبا الوضاح، وكان بعُمَان، وسبب خصائه أنه أُسِرَ باليمن فهرب، فَظُفِرَ به، ثم هرب مرة أخرى، فأُخِذَ فَخُصِي، فهرب ثالثة، وأَخَذَ جملين يقال لهما عَوْهَج وذَاعِر، فصارا بعُمَان. . . وكان شهد على قدامة بن مظعون، وكان عامل عمر على البحرين، بشرب الخمر، فَحَدَّه عمر. ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ص ٢١٩ - ٢٢١.

(٣) عبدالله بن مسلم بن قتيبة، *كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني*، مج ١، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ص ص ٨١ - ٨٢.

فولي على آثارهنَّ بحاصب وغبية شؤبوب من الشَّدّ ملهب
فأدركهنَّ ثانيًا من عنانه يمر كَمَرِّ الرائح المتحلب

فحكمت لعلقمة على امرىء القيس وقالت: أما أنت فجهدت فرسك بسوطك وزجرك ومريته بساقك، وأما هو فأدرك فرسه الطريدةَ ثانيًا من عنانه، لم يضربه بسوط، ولم يمره بساق، ولم يزجره.

فقال امرؤ القيس: ما هو بأشعر منى ولكنك له عاشق، فطلقها فخلف عليها علقمة.

والمصدر الثالث الذي وردت فيه هذه القصة هو *كتاب الأغاني* لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) والرواية فيه منسوبة إلى لقيط (ت ١٩٠هـ) وأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ).[٤] يقول أبو الفرج الأصبهاني:[٥]

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمَريّ عن لقيط، وأخبرني أحمد بن عبدالعزيز قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني أبو عبيدة قال:

كانت تحت امرىء القيس امرأة من طيىء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليليّ مرّا بي على أم جندب

حتى مَرَّ بقوله:

فللسوط ألهوب وللساق درّة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

ويروى: أهوج منصب.

فأنشدها علقمة قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

---

(٤) سنرمز لهذه الرواية برواية أبي عبيدة.

(٥) أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، *كتاب الأغاني*، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب، مج ٢١ (بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، د.ت.)، ص ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣، وانظر كذلك ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

حتى انتهى إلى قوله:

فأدركـه حتـى ثنـى من عنـانـه يمـر كغـيث رائـح متـحـلب

فقـالت له: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقك، وضربته بسوطك، وأنه جاء هذا الصَّيدَ، ثم أدركه ثانيًا من عنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلتِ، ولكنك هويته، فطلقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لقب علقمة الفحل.

والمصـدر الـرابـع الـذي سجـل لنا هذه القصة هو *كتاب الموشح* للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)، وقد أورد المرزباني ثلاث روايات أسند كل واحدة منها إلى راوية مشهور. الرواية الأولى منها منسوبة إلى المفضل (ت ١٦٨ أو ١٧٨هـ)؛ يقول المرزباني:[٦]

حدثني إبراهيم بن محمد العطار عن الحسن بن عُليل العنزي قال: حدثنا أبو عدنان السُّلمي قال: أخبرني أبو يوسف الجني الأسدي، راوية المفضل، عن المفضل، أن أبا الغول النهشلي حدثه عن أبي الغول الأكبر قال: لما نزل امرؤ القيس في طيىء تزوج امرأة منهم يقال لها أم جندب، وكان مُفَـرَّكًـا تبغضـه النساء إذا وقع عليهن، فأتى أم جندب من الليل، فقالت له: يا خير الفتيان أصبحت فقم. فقام فإذا الليل كما هو، فرجع إليها فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: لا شيء قال: لَتُخْـبِرنّي قالت: كرهتك لأنك ثقيل الصدر، خفيف العجز، سريع الهراقة، بطيء الإفـاقـة. قال: فلم تزل عنده. فأتاه علقمة بن عبدة، فتذاكرا الشعر عندها، فقال هذا: أنا أشعر، وقال هذا: أنا أشعر. فقال له علقمة: قل شعرًا وانعت الصيد، وهذه الحَكَمُ بيني وبينك، يعني أم جندب، فقال:

خليليَّ مُرَّا بي على أم جنـدب

فنعت فيها فرسه والصيد حتى فرغ منها.

وقال علقمة في مثل ذلك:

ذهـبت من الهجـران في غير مذهب

---

(٦) أبـو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني، *الموشح*، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٥م)، ص ص ٣١ ـ ٣٢.

إلا أن علقمة قال في نعت الفرس:

فأدركـــهُـــنَّ ثانـــيًا من عنـــانـــه ..... البيـت

وقال امرؤ القيس:

فللزجـــر أهـــوب ولـــلسّـــاق درّة ..... البيـت

فقـالت لامـرىء القيس: هو أشعـر منك. رأيتك ضربت فرسك بسوطك، وحركته بساقك، وزجرته بصوتك، ورأيته أدرك الصيد ثانيًا من عنانه يمر كمرِّ الرائح المتحلب. فخلى سبيلها لمّا فضلت علقمة عليه.

وقد أضاف المرزباني أن هشام بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) قد روى أيضًا هذا الحديث على هذه الحكاية، كما رواه أيضًا عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) وذكره فيما أنكر من شعر امرىء القيس.[٧]

والرواية الثانية التي أوردها المرزباني هي تلك التي نسبها إلى أبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ أو ٢١٠هـ)؛ يقول المرزباني:[٨]

روى محمد بن العباس اليزيدي، عن عمه إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي، عن أبي عمرو الشيبـاني أن امـرأ القيس بن حجر تزوج امرأة من طيىء، وكان مُفَرَّكًا، فلما كان ليلة ابتَنَى بها أبغضته، فجعلت تقول: أَصْبِحْ ليلُ. يا خير الفتيان أصبحت أصبحت، فينظر فيرى الليل كهيئته فلم يزل كذلك حتى أصبح. فزعموا أن علقمة بن عبدة التميمي، ثمَّ أحد بني ربيعة بن مالك، نزل به ـ وكان من فحول شعراء الجاهلية، وكان صديقًا له ـ فقال أحدهما لصاحبه: أيّنا أشعر؟ فقال هذا: أنا. وقال هذا: أنا. فتلاحيا، حتى قال امرؤ القيس: انعت ناقتك وفرسك وأنعت ناقتي وفرسي. قال: فافعل، والحكم بيني وبينك هذه المرأة من ورائك ـ يعني امرأة امرىء القيس الطائية ـ فقال امرؤ القيس:

خليليّ مُرَّا بي على أم جنـــدب

---

(٧) المرزباني، *الموشح*، ص ٣٢.

(٨) المرزباني، *الموشح*، ص ص ٢٩ ـ ٣١.

حتى فرغ منها.

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

فلما فرغا من قصيدتهما عرضاهما على الطائية امرأة امرىء القيس، فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك. قال لها: وكيف؟ قالت: إنك زجرت، وحركت ساقيك، وضربت بسوطك، تعني قوله في قصيدته حيث وصف فرسه:

فللزجر ألهوبٌ وللسَّاقِ دِرَّةٌ وللسّوط منه وقع أخرجَ مهذِب

قالت: وإن علقمة جاهر الصيد فقال:

إذا ما اقتنصنا لم نُقِدْه بِجُنَّة ولكن ننادي من بعيد ألا اركب

فغضب عليها امرؤ القيس، وقال: إنك لتبغضيني، فطلقها.

والرواية الثالثة التي أوردها المرزباني هي التي نسبها إلى عمر بن شبَّة (ت ٢٦٣هـ)؛ يقول المرزباني:[٩]

كتب إليَّ أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، أخبرنا عمر بن شبَّة، قال: تنازع امرؤ القيس بن حُجْر وعلقمة بن عبدة، وهو علقمة الفحل، في الشعر: أيهما أشعر؟ فقال كل واحد منهما: أنا أشعر منك. فقال علقمة: قد رضيت بامرأتك أم جندب حكمًا بيني وبينك. فحكّماها، فقالت أم جندب لهما: قولا شعرًا تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة، وروىّ واحد فقال امرؤ القيس:

خليليّ مُرَّا بي على أم جندب نُقَضِّ لُبانات الفؤاد المعذّب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقًّا طول هذا التجنب

فأنشداها جميعًا القصيدتين، فقالت لامرىء القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسّوط ألهوب وللسّاق دِرَّةٌ وللزجر منه وقع أخْرَجَ مهذب

---

(٩) المرزباني، *الموشح*، ص ص ٢٨ ـ ٢٩ ويلاحظ هنا أنه قد ورد في هذه الرواية أن علقمة قد لُقِّب لذلك بالفحل مع أنه لم يرد فيها ما يشير إلى أن امرأ القيس قد طلق أم جندب وأن علقمة قد تزوجها بعده.

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، وَمَرَيْتَهُ فأتعبته بساقك.
وقال علقمة:

فأدركهُنَ ثانيًا من عنانه يمرُّ كمرِّ الرائح المتحلّب

فأدرك فرسه ثانيًا من عنانه، لم يضربه، ولم يتعبه.
فقال: ما هو بأشعر مني، ولكنّكِ له عاشقه، فسُمّي الفحل لذلك.

والمصدر الخامس الذي وردت فيه قصة التحكيم هو ديوان امرىء القيس بشرح الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) والقصة فيه مُسْندة إلى الأصمعي (ت ٢١٦هـ)؛ يقول الأعلم:[١٠]

حدث الأصمعي أن امرأ القيس حين هرب من المنذر بن ماء السماء صار إلى جبلي طيّىء: أجأ وسلمى، فأجاروه فتزوج بها أم جندب، وكان امرؤ القيس مُفَرّكًا مُبَغَضًا، فبينما هو ذات ليلة نائم معها إذ قالت له: قم يا خير الفتيان فقد أصبحت! فلم يقم، فكررت عليه، فقام، فوجد الفجر لم يطلع بعد، فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فسكتت عنه ساعة، فألحَّ عليها، فقالت: حملني أنك ثقيل الصدرة، خفيف العجزة [هكذا]، سريع الهِراقة، بطيء الإفاقة.

---

(١٠) امرؤ القيس بن حجر، *ديوان امرىء القيس*، سلسلة ذخائر العرب ٢٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ص٤٠. هذا وقد وردت قصة التحكيم أيضًا في مؤلفات عدد من العلماء الذي عاشوا بعد مَنْ ذكرنا رواياتهم، وروايات هؤلاء المتأخرين لا تخرج عن الروايات السبع التي أوردناها. انظر مثلاً: حمد بن محمد الخطابي، *بيان إعجاز القرآن* (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، ص ص ٥٨ ـ ٥٩؛ عبدالقاهر الجرجاني، *الرسالة الشافية في الإعجاز* (منشورة مع كتاب *دلائل الإعجاز*). تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م)، ص ٥٩١؛ المظفر بن الفضل العلوي، *نضرة الإغريض في نصرة القريض*، تحقيق نهى عارف الحسن (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، ص ص ٢٢٦ ـ ٢٢٨؛ عبدالرحيم بن أحمد العباسي، *معاهد التنصيص على شواهد التلخيص*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مج ١، نسخة مصورة عن طبعة المكتبة التجارية بمصر، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م (بيروت: عالم الكتب)، ص ص ١٧٥ ـ ١٧٦؛ عبدالقادر بن عمر البغدادي، *خزانة الأدب، ولُبّ لباب لسان العرب*، مج ٣، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، د. ت.)، ص ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

فعرف من نفسه تصديق قولها، فسكت عنها، فلما أصبح أتاه علقمة بن عبدة التميمي، وهو قاعد في الخيمة وخلفه أم جندب، فتذاكرا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علقمة: بل أنا أشعر منك، فقال: فقل وأقول؛ وتحاكما إلى أم جندب، فقال امرؤ القيس: «خليليّ مُرَّا بي على أم جندب» القصيدة. وقال علقمة: «ذهبت من الهجران في غير مذهب» حتى فرغ منها، ففضلته أم جندب على امرىء القيس، فقال لها: بِمَ فَضَّلْتِهِ عليَّ؟ فقالت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك، قال: ولماذا؟ قالت: سمعتك زجرت، وضربت وحَرَّكْتَ، وهو قولك:

فللسّاق أُلهوب وللسَّوطِ دِرَّةٌ ... وللزجر منه وقعُ أهوجَ مِنْعَبِ

وأدرك فرس علقمة ثانيًا من عنانه، وهو قوله:

فأقبل يهوى ثانيًا من عنانه ... يَمُرّ كمر الرائح المتحلب

فغضب عليها وطلقها، فخلف عليها علقمة، فسمي علقمة الفحل.

هذه هي الروايات الرئيسية التي نعرفها لهذه القصة. ولقد شكَّ بعض الرواة والنقاد في قصة التحكيم هذه، كما شكّوا في صحة القصيدتين ناهيك عن صحة الحكم نفسه وإصابته. فالمرزباني بعد إيراده لرواية المفضل التي مرت بنا يضيف قائلاً: «وقد روى هذا الحديث أيضًا هشام بن الكلبي على هذه الحكاية ورواه أيضًا عبدالله بن المعتز وذكره فيما أنكر من شعر امرىء القيس».[١١]

ولم نعثر على رواية ابن المعتز التي أشار إليها المرزباني ولذلك ليس واضحًا لنا أكان ابن المعتز نفسُه ينكر صحة قصيدة امرىء القيس التي فاخر بها علقمة، أم أنه كان ينقل رأيًا لبعض العلماء الآخرين الذين تطرق إلى الحديث عن آرائهم. ونجد، بجوار ما نقل عن عبدالله بن المعتز، أن المرزباني قد أورد في الرواية التي نسبها إلى أبي عمرو الشيباني ما يُوحي بشك أبي عمرو في مسألة اختلاف امرىء القيس وعلقمة الفحل في أيّهما أشعر، ثم ما أعقب ذلك من تحكيمهما لأم جندب، فأبو عمرو الشيباني يورد هذا الموضوع مسبوقًا

---

(١١) المرزباني، *الموشح*، ص ٣٢. وانظر كذلك: إبراهيم، *تاريخ النقد*، ص ٢٢؛ عثمان، *معالم النقد*، ص ص ١٠٦ ـ ١٠٧؛ محمود الربداوي، *النقد العربي القديم* (دمشق: مطبعة الإنشاء، ١٤٠١هـ/١٤٠٢هـ)، ص ١١.

بقوله: «زعموا»[١٢] التي يمكن أن يفهم منها أن أبا عمرو لم يكن مطمئنًا إلى صحة القصة التي رواها.

هذا فيما يتعلق بشك القدماء في هذه القصة. أما المحدثون فإن الدكتور طه حسين قد شك في قصة التحكيم جملة وتفصيلاً انطلاقًا من شكه في صحة القصيدتين اللتين قيل إن أم جندب قد حكمت عليهما. فهو أولاً يعلن عن جزمه بأن قصيدة امرىء القيس التي فاخر بها علقمة منحولة،[١٣] وبعد قليل من قوله هذا يعود فيخفف من حدة إنكاره فيقول: «وأكبر الظنّ أنّ علقمة لم يفاخر امرأ القيس، وأن أم جندب لم تحكم بينهما، وأن القصيدتين ليستا من الجاهلية في شيء، وإنما هما من صنع عالم من علماء اللغة... وكان أبو عبيدة والأصمعي يتنافسان في العلم بالخيل، ووصف العرب إيّاها: أيّهما أقدر عليه وأحذق به، وما نظنّ إلا أن هاتين القصيدتين وأمثالهما أثر من آثار هذا النحو من التنافس بين العلماء من أهل الأمصار الإسلامية المختلفة.[١٤]

ثم يضيف الدكتور طه حسين إلى شكّه هذا شكًّا آخر في إمكانية معاصرة علقمة لامرىء القيس، فهو يذكر أن الرواة يرون أن علقمة «مات بعد ظهور الإسلام أي في عصر متأخر جدًّا بالقياس إلى امرىء القيس الذي مهما يتأخر فقد مات قبل مولد النبي».[١٥]

ثم يبدي الدكتور طه حسين بعد ذلك رأيه في الفترة الزمنية التي يحتمل أن امرأ القيس قد عاش فيها فيقول: «والذي نرى نحن أنه عاش قبل القرن السادس، وربما عاش قبل القرن الخامس أيضًا»[١٦]

---

(١٢) المرزباني، *الموشح*، ص ٣٠.
(١٣) طه حسين، *في الأدب الجاهلي* (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ص ٢٠٧.
(١٤) طه حسين، *في الأدب الجاهلي*، ص ٢٠٨.
(١٥) طه حسين، *في الأدب الجاهلي*، ص ٢٠٩.
(١٦) طه حسين، *في الأدب الجاهلي*، ص ٢٠٩.

والـدكتور شوقي ضيف يتابع الدكتور طه حسين في إنكاره لقصة معارضة علقمة لامرىء القيس، ولقصة التحكيم المصاحبة لها، ويرجح أن القصة بجملتها من صنع بعض الـرواة الـذين لم يلاحظوا «أنّ علقمة كان يعيش في أوائل القرن السابع، فهو ليس من معاصري امرىء القيس،[١٧] لأن امرأ القيس، كما يرى الدكتور شوقي ضيف، قد توفي فيما بين سنتي ٥٣٠م و ٥٤٠م.[١٨]

والـدكتـور عبدالرحمن عثمان يقول عن قصة التحكيم: «. . . والظاهر أنها قصة مفتعلة قصد منها إثبات كراهية أم جندب لامرىء القيس لأسباب لا محل لذكرها.»[١٩]

والدكتور داود سلوم يقول هو الآخر: «. . . والنص متهم ويظن النقاد أنه منتحل، وكأنه مُعَدٌ ومرتب، ولعله من النصوص المؤلفة في القرن الأول الهجري. . .»[٢٠]

وهناك في المقابل نقاد قبلوا قصة التحكيم ولم يثنهم عن ذلك ما أثير حولها من شكوك، ومن هؤلاء الـدكتور بدوي طبانة الذي يقول عن هذه القصة: «وبعد فإنا لا نجد هذه الرواية التي تظاهرت على روايتها كتب الأدب سبيلاً إلى الطعن فيها (هكذا)، ولا نرى سببًا وجيهًا يدعو إلى إنكارها، أو إلى التشكيك في صحتها. . .»[٢١]

وقد قال مثل هذا الكلام الدكتور محمد إبراهيم نصر في معرض رده على أحد النقاد الذين قالوا إنّ القصة منتحلة وإنّ النصّ فيها مُعَدٌ ومرتَّب.[٢٢]

---

(١٧) شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي*، مج ١، العصر الجاهلي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠م)، ص ٢٤٥.

(١٨) ضيف، *تاريخ الأدب*، مج ١، ص ٢٤٣.

(١٩) عثمان، *معالم النقد*، ص ١٠٧.

(٢٠) داود سلوم، *النقـد العـربي القـديم بين الاستقـراء والتأليف*، ط ٢ (بغداد: مكتبة الأندلس، ١٩٧٠م)، ص ٢٠.

(٢١) طبانة، *دراسات*، ص ٥٥.

(٢٢) محمد إبراهيم نصر، *النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام*، (د.م: دار الفكر العربي، ١٣٩٨هـ)، ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

وهناك فئة ثالثة من النقاد آثرت التفصيل في الأمر، فهي لم ترفض جمل القصة ولكنها رفضت ما ذكر من اشتراط أم جندب لاتحاد القصيدتين في الموضوع، والروي، والقافية. ويأتي في مقدمة هؤلاء النقاد الأستاذ طه أحمد إبراهيم الذي عبّر عن شكّه في أن جاهليًّا يدرك الفرق بين الروي والقافية، كما عبر عن ارتيابه في أن تكون هذه الألفاظ تستعمل في العصر الجاهلي بمعناها الاصطلاحي.[٢٣] ولذا يرى الأستاذ طه أحمد إبراهيم أن القصة ينبغي أن تؤخذ كما رواها أبو عبيدة «من أن شاعرين تحاكما إلى زوج امرىء القيس دون أن يذكر للحكم أسسًا. فلا روي، ولا قافية، ولا وحدة غرض. وهي بهذا تلائم العصر الجاهلي وترينا أن النقد لا زال فطريًّا.»[٢٤]

والدكتور محمد طه الحاجري يقف هو الآخر موقفًا وسطًا من هذه القصة حيث يقول معلقًا على رواية ابن قتيبة التي أوردناها: «وقد يكون في النفس شيء من هذه القصة، باعتبار أن ما تتضمنه من نقد أشبه بصنيع المتأخرين في النقد والموازنة، ولكني مع ذلك لا أذهب إلى حدِّ إنكارها جملة، ورفضها رفضًا باتًّا مطلقًا، فروح النقد فيها وإن يكن نقدًا معللاً، روح بسيطة متواضعة، مما لا ينبغي أن يثير كبير شبهة.»[٢٥]

وقبل أن ندخل في مناقشة روايات القصة التي سردناها ينبغي أن نقف قليلاً عند ما أثاره الدكتور طه حسين والدكتور شوقي ضيف من انتفاء معاصرة علقمة لامرىء القيس، الأمر الذي إن صح فإنه ينسف قصة المعارضة والتحكيم من أساسها. إن الباحث في الفترة الزمنية السابقة للإسلام، وبخاصة الفترة المتقدمة منها، يتعذر عليه، في معظم الأحيان، العثور على التواريخ الدقيقة التي عاش فيها من يبحث تاريخهم. وكثيرًا ما يصادف هذا الباحث روايات متضاربة وأقوالاً يصعب عليه تصديقها. ولكن مع هذا ومن خلال متابعة بعض الأحداث التاريخية التي وقعت في الجاهلية، والتي كان امرؤ القيس طرفًا فيها أو

---

(٢٣) إبراهيم، *تاريخ النقد*، ص ٢٢.

(٢٤) إبراهيم، *تاريخ النقد*، ص ٢٢.

(٢٥) الحاجري، *في تاريخ النقد*، ص ٣٨؛ وانظر كذلك: عتيق، *تاريخ النقد*، ص ص ٢٣ ـ ٢٤.

معاصرًا لبعض أبطالها، نجد أن بعض الوقائع المشهورة قد قُدّر تاريخها تقديرًا تغلب على الظنّ صحته.

يذكر الرواة أن جدّ امرىء القيس الحارث بن عمرو الكندي قد ولاه قباذ بن فيروز، ملك الفرس، أمْرَ الحيرة بدلاً من ملكها الأصلي المنذر بن ماء السماء، وذلك بسبب رفض المنذر قبول المزدكية دينًا رسميًّا له، وقبول الحارث، كما تقول بعض الروايات، لذلك الدين. وقد ظلّ الحارث ملكًا على الحيرة إلى أن مات قباذ وخلفه ابنه أنوشروان الذي كان يكره المزدكية. وقد عزل أنوشروان الحارث بن عمرو من منصبه وأعاد المنذر إلى ملكه.[٢٦] وقد حاول أنو شروان إلقاء القبض على الحارث ولكنه هرب بماله وولده. وقد تعقبه المنذر وطارده إلى أن توفي الحارث، وكان الحارث قد مَلَّكَ أبناءهُ على القبائل التابعة له.[٢٧] وبعد موته أخذ المنذر يدس بين أبنائه فتحارب شرحبيل وسلمة حتى قتل شرحبيل، وقتلت بنو أسد حجرًا والد امرىء القيس.[٢٨] وبعد مقتل حجر ذهب امرؤ القيس يحاول الأخذ بثأر أبيه واستعادة ملك أسرته، فتعقبه المنذر بن ماء السماء إلى أن ضعف امرؤ القيس فالتجأ إلى عمرو بن المنذر بن ماء السماء (ابن عمَّة امرىء القيس) وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه ببقّة، بين الأنبار وهيت. وعندما علم المنذر بوجود امرىء القيس عند ابنه أرسل في طلبه فأنذره عمرو فهرب، ثم أخذ يتنقل في القبائل إلى أن وصل إلى السموأل بن عاديا بتيماء فطلب منه امرؤ القيس أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام لكي يوصله إلى قيصر،

---

(٢٦) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ١١٥؛ الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ٧٩؛ جواد علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، مج ٣، ط ٣ (بيروت وبغداد: دار العلم للملايين، ومكتبة النهضة، ١٩٨٠م)، ص ص ٣٣٣-٣٣٤، ٣٤١-٣٤٤؛ صالح أحمد العلي، *محاضرات في تاريخ العرب*، مج ١، ط ٢ (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٥٩م)، ص ص ٦٦، ٨٣ - ٨٤.

(٢٧) الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ص ٨٠ - ٨٢؛ جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٣٤٤ - ٣٤٦.

(٢٨) جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٣٥٢ - ٣٥٣؛ ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ١١٥؛ الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ص ٨٣، ٨٤.

وترك ابنته وأدراعه وماله عند السموأل وذهب إلى قيصر كما هو مذكور في القصة المشهورة.[٢٩]

وقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني أن المنذر قد ألَحَّ في طلب امرىء القيس وأنه قد سَيَّر الجيوش في طلبه، وأن أنوشروان قد أمَدَّ المنذر بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه أيضًا.[٣٠]

وذكر ابن قتيبة أن امرأ القيس كان في زمن أنوشروان ملك العجم وأن بين أول ولاية أنوشروان وبين مولد النبي ﷺ أربعين سنة.[٣١]

وبتتبع الأحداث التاريخية وتقديرات سني حكم بعض من مرّت أسماؤهم نجد أن قباذ بن فيروز قد توفي في سنة **٥٣١م** وأن أنوشروان قد تولى الحكم في العام نفسه.[٣٢] كما أن المنذر بن ماء السماء قد حكم ـ فيما يبدو ـ بين سنتي **٥٠٨ ـ ٥٥٤م**.[٣٣] ويرجح المؤرخون أن الحارث بن أبي شمر الغساني قد ولي الحكم فيما بين **٥٢٩ـ٥٦٩م**.[٣٤] كما أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء (عمرو بن هند) الذي التجأ إليه امرؤ القيس في عهد المنذر قد توفي في عام **٥٦٩م**.[٣٥]

---

(٢٩) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ص ١١٥ ـ ١٢٠؛ الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ص ٨٩ ـ ٩٧، ٩٩؛ جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٣٥٩، ٣٦٠ ـ ٣٧١، ٤١٠. جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٣٥٩، ٣٦٠ ـ ٣٧١، ٤١٠.

(٣٠) الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ٩٣.

(٣١) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ١٢٥.

(٣٢) جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٣٣٤، ٣٤٢.

(٣٣) جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ٢١٩؛ وقد ذكر الدكتور صالح العلي أن مدة حكم المنذر ربما تكون قد امتدت إلى سنة ٥٦٣م. انظر: العلي، *محاضرات*، مج ١، ص ٨٠.

(٣٤) جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤، ٤٠٩ ـ ٤١١.

(٣٥) جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ٢٣٩؛ الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ٩٢. ويذكر الدكتور صالح العلي أن مدة حكم عمرو ربما تكون قد امتدت إلى عام ٥٧٨م؛ انظر: العلي، *محاضرات*، مج ١، ص ٨٠.

من هذا الذي أوردناه يبدو لنا أن امرأ القيس كان، على أقل تقدير، حيًّا إلى أول ولاية أنوشروان التي بدأت في عام ٥٣١م.[٣٦] ولا ندري كم بقي امرؤ القيس بعد ذلك متنقلاً بين القبائل، وعند السموأل، ولا كم بقي عند قيصر، إن كان قد ذهب إليه بالفعل. ويرى بعض الباحثين أن امرأ القيس ربما يكون قد عاش إلى حوالي سنة ٥٤٠م.[٣٧]

هذا فيما يخصّ امرأ القيس، أما بالنسبة لعلقمة. فبالإضافة إلى ما ورد في جميع روايات قصة التحكيم التي أوردناها من إشارة إلى معاصرته لامرىء القيس، فإن رؤبة بن العجاج قد سئل عن بيت امرىء القيس الآتي:

نطعنُهُم سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَكَ لَأمَيْنِ على نابل

فقال رؤبة: حدثني أبي عن أبيه قال: حدثتني عمتي ـ وكانت في بني دارم ـ قالت: سألت امرأ القيس، وهو يشرب طلاء له مع علقمة بن عبدة ـ ما معنى قولك: كرَك لأمين على نابل. . . .[٣٨]

كما أن أبا عمرو بن العلاء قد روى أن الحارث بن أبي شمر الغساني قد أسَرَ في يوم عين أُبَاغْ أخًا لعلقمة الفحل يدعى شأسًا فخرج علقمة إلى الحارث من أجل إطلاق سراح أخيه، وقد مدح الملكَ الغساني بقصيدة أطلق له على أثرها سراحه.[٣٩] وقد مرّ بنا أن

---

(٣٦) تولى أنوشروان الحكم بعد وفاة أبيه قباذ في عام ٥٣١م، انظر: جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ص ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٢؛ الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ص ٧٩ ـ ٨٠؛ العلي، *محاضرات*، مج ١، ص ٦٦.

(٣٧) جواد علي، *المفصل*، مج ٣، ص ٣٧٢.

(٣٨) أورد هذا الخبر الدكتور ناصر الدين الأسد نقلاً عن مخطوط لم يتيسر لي الاطلاع عليه وهو كتاب: *التنبيهات على أغاليط الرواة* لأبي القاسم علي بن حمزة البصري. انظر: ناصر الدين الأسد، *مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية*، سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م)، ص ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦، ٦٤٩.

(٣٩) محمد بن عمران العبدي، *كتاب العفو والاعتذار*، تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، مج ٢ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ص ٣٩٣ ـ ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٣ ـ ٤٠٦. وانظر كذلك: عبدالرزاق حسين، *علقمة بن عبدة الفحل: حياته* =

الحارث بن أبي شمّر كان معاصرًا لامرىء القيس، وأنه هو الذي أوصله إلى قيصر، كما تقول الرواية. كما أنه، حسب قول ابن قتيبة، هو الذي أرسل إلى السموأل بعد ذلك طالبًا سلاح امرىء القيس وودائعه.[٤٠]

وبجانب هذه الروايات هناك روايات أخرى تشير إلى وفادة علقمة الفحل أيضًا على عمرو بن الحارث الغساني وعلى جبلة بن الأيهم.[٤١] كما أن هناك أخبارًا تدل على معاصرته للنابغة الذبياني ولحسان بن ثابت،[٤٢] وحسان كما هو معروف من الشعراء المخضرمين. ولم نعثر في المصادر القديمة التي رجعنا إليها على تاريخ لوفاة علقمة، ولكن بعض الباحثين المحدثين قد اجتهدوا في تحديد الفترة التي عاش فيها، فالدكتور عبدالله الطيب يذكر في شرحه لبائية علقمة أن سبب إنشاء علقمة لهذه القصيدة هو استعطاف الحارث بن أبي شمر الغساني من أجل إطلاق سراح أخيه الذي أُسِرَ في يوم عين أُبَاغ. ويذكر الدكتور عبدالله الطيب أن هذا اليوم كان في شهر يونية من سنة ٥٥٤م ثم يضيف: «هذا وتاريخ يوم عين أُبَاغ مذكور في أخبار دولة الروم الشرقية ومن معرفته نستدل على أن علقمة بن عبدة وامرأ القيس ومعاصريهما كانوا من رجالات العرب في النصف الأول من القرن السادس الميلادي أو حوالي ذلك».[٤٣]

= وشعره، ط ١ (بيروت والرياض: المكتب الإسلامي ومكتبة فرقد الخاني، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ص ٣٥ ـ ٣٦؛ ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٢؛ محمد بن زيد المبرد، *الكامل*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مج ١ (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.)، ص ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٤٠) ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١، ص ص ١١٨ ـ ١١٩، ١٢٥؛ الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٩، ص ٩٩.

(٤١) الأصبهاني، *الأغاني*، مج ١٥، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٩؛ عبدالرزاق حسين، *علقمة*، ص ص ٣٦، ٣٨ ـ ٣٩.

(٤٢) الأصبهاني، *الأغاني*، مج ١٥، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨؛ عبدالرزاق حسين، *علقمة*، ص ص ٣٧ ـ ٣٩.

(٤٣) عبدالله الطيب، *شرح بائية علقمة* (بيروت والخرطوم: دار الفكر، والدار السودانية، ١٣٩٠هـ)، ص ٥.

ويرى خير الدين الزركلي أن علقمة توفي حوالي سنة ٦٠٣م.[٤٤] وهناك من الباحثين من يرى أن علقمة ربما يكون قد توفي بعد ظهور الإسلام.[٤٥] ولا يُستَنْكَرُ أن يكون علقمة قد عاصر امرأ القيس ثم امتدّ به العمر إلى أوائل القرن السابع الميلادي، لأن هناك بعض المعمرين الذين ذكر السجستاني أنهم كانوا من معاصري امرىء القيس، قد امتدت بهم الحياة إلى ما بعد مجيء الإسلام، ومن هؤلاء رُبَيْع بن ضبع الفزاري، وعمرو بن مسبح الطائي. وقد ذكر السجستاني أن عمرو بن مسبح هذا قد تأخرت وفاته إلى زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه.[٤٦]

من هذا الذي أوردناه يتبين لنا أن معظم القرائن تؤكد معاصرة علقمة لامرىء القيس، وأن التشكيك في معاصرتهما ليس له سند قوي يؤيده.

وإذا ما عدنا إلى روايات القصة السبع التي أوردناها وجدنا بينها اختلافًا، وهذا الاختلاف تتسع دائرته بين بعض تلك الروايات وتضيق بين بعضها الآخر. ولو أردنا أن نصنف هذه الروايات وفقًا لما بينها من تشابه لجعلنا روايتي ابن قتيبة ورواية ابن شبة في فئة ولجعلنا بقية الروايات في فئة أخرى.

---

(٤٤) خير الدين الزركلي، *الأعلام*، مج ٤، ط ٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، ص ٢٤٧.

(٤٥) طه حسين، في *الأدب الجاهلي*، ص ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ عبدالرزاق حسين، *علقمة*، ص ٤٠. هناك أخبار تدل على أن علقمة قد عاصر بعض الذين أدركوا الإسلام، وقد مرَّ بنا منذ قليل أنه قد عاصر حسان بن ثابت. وهناك خبر يشير إلى أنه قد عاصر الزّبرقان بن بدر أيضًا والزّبرقان قد امتدت به الحياة طويلاً بعد ظهور الإسلام. ذكر صاحب *الأغاني* أن علقمة والزّبرقان بن بدر، والمخبل، وعمرو بن الأهتم قد تحاكموا إلى ربيعة بن حذار الأسدي في أيُّهم أشعر. ولم نجد من بين المتقدمين من أشار إلى أن علقمة قد أدرك الإسلام، ولكن هناك نص على أن ابنه عليّ بن علقمة كان من المخضرمين، وأنه قد أدرك النبي ﷺ ولكنه لم يَرَه. انظر: الأصبهاني، *الأغاني*، مج ٢١، ص ٢٠٣؛ مج ٢، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٣، ١٨٦؛ البغدادي، *خزانة الأدب*، مج ٣، ص ٢٨٤؛ عبدالرزاق حسين، *علقمة*، ص ٤٢.

(٤٦) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، *المعمرون والوصايا*، تحقيق عبدالمنعم عامر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦١م)، ص ص ٨ ـ ٩، ٩٧.

وبـإلقـاء نظرة على الـروايات جميعهـا نجـد أن ثلاثًا منها وهي روايات المفضل، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني قد نصَّت على أن امرأ القيس كان مُفَرَّكًا من النساء وأن أم جنـدب قد كرهتـه. وقد انفردت روايتا المفضل والأصمعي بإيراد تعليل منسوب إلى أم جندب أوضحت فيه أسباب كرهها له، وقد عزت ذلك إلى أسباب تجاوزت في تصريحها بها حدود الحشمة.

وقد نصت روايات المفضل، وأبي عمرو الشيباني، وابن شبة على أن علقمة هو الذي اقترح أن تكون أم جندب حكمًا بينه وبين امرىء القيس،(٤٧) في حين ذكرت بقية الروايات السبع أن الشاعرين قد احتكما إليها، من غير تصريح باسم المقترح لها.

وبخصـوص المـوضوع الذي يتعين على الشاعرين أن ينظما فيه فقد ورد في رواية المفضل أنه نعت الصيد والمقترح له هو علقمة، وورد في رواية أبي عمرو الشيباني أنه نعت الناقة والفرس والمقترح له هو امرؤ القيس، وورد في روايتي ابن قتيبة ورواية ابن شبة أنه وصف الخيل والمقترح له هو أم جندب. في حين أهملت رواية الأصمعي ورواية أبي عبيدة أي ذكر للموضوع الذي ينبغي النظم فيه.

وأما عن اشتراط الاتفاق في حرف الروي فقد ورد ذلك في روايتي ابن قتيبة ورواية ابن شبـة، وأمـا اشـتراط الاتفـاق في القـافية فلم يرد إلا في رواية ابن قتيبـة في *الشعـر والشعراء*،(٤٨) وفي رواية ابن شبة.

---

(٤٧) لقد ذكرنا في التعليقة رقم ٢ رواية أخرى لابن قتيبة أوردها في *الشعر والشعراء*، وفي هذه الرواية نجد أن علقمة كذلك هو الذي رشح أم جندب لكي تكون حكمًا بينه وبين امرىء القيس، كما نجد نصًّا صريحًا على قبول امرىء القيس بتحكيمها.

(٤٨) لقد سبق أن ذكرنا في التعليقة رقم ٢ أن ابن قتيبة قد أورد في *الشعر والشعراء* رواية أخرى لقصة التحكيم، وفي هذه الرواية، كما هو الحال في الرواية التي أوردناها له في صلب البحث، نجد نصًّا على ضرورة أن يكون الشعر في وصف الخيل، وأن يكون على رويّ واحد، وقافية واحدة؛ انظر: ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، مج ١ ص ٢٢٠.

وأما بخصوص ما ترتب على الحكم نفسه بعد ذلك فقد ورد في روايات الأصمعي، وأبي عبيدة، وابن قتيبة أن امرأ القيس قد طلق أم جندب وأن علقمة تزوجها بعد ذلك، في حين ورد في روايتي المفضل وأبي عمرو الشيباني أن امرأ القيس قد طلق أم جندب ولكن لم يرد فيهما شيء عن زواج علقمة منها. ولم يرد في رواية ابن شبة شيء عن موضوع طلاق أم جندب من امرىء القيس ولا عن زواجها بعد ذلك من علقمة.

وأما عن سبب تلقيب علقمة بالفحل فقد ورد في رواية ابن قتيبة في *الشعر والشعراء*، وروايات أبي عبيدة، والأصمعي، وابن شبة، أن علقمة قد لقب بالفحل على إثر زواجه من أم جندب. وقد أورد ابن قتيبة بجانب هذا تعليلاً آخر لتلقيب علقمة بالفحل وهو أنه كان يوجد في رهطه رجل يقال له: علقمة الخصي فلقبوا علقمة بن عبدة بالفحل تفريقًا بينه وبين ذلك الخصي.(٤٩)

ونتيجة لهذا الاختلاف الواضح بين الروايات يجد الباحث نفسه مهيّأ لقبول أصل القصة كما وردت في روايات القدماء من الرواة: المفضل، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، أي بدون اشتراط اتفاق القصيدتين في الروي والقافية. ومسألة التفاوت بين الروايات الأربع نفسها مسألة طبيعية أملتها ظروف الرواية المعتمدة على الذاكرة

---

(٤٩) وقد أيَّدَ هذا التعليل الأخير لتلقيب علقمة بالفحل الجاحظُ حيث يقول في معرض حديثه عن الخصيان: «كما خَصَى بعضُ عباهلة اليمن علقمة بن سهل الخصي، وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل، حين وقع على هذا اسم الخصي، وكان عبدًا صالحًا... وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتقبل شهادة الخصي؟ قال أما شهادتك فأقبل»، انظر عمرو بن بحر الجاحظ، *الحيوان*، تحقيق عبدالسلام هارون، مج ١، ط ٣ (بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م)، ص ص ١٢٠ - ١٢١. وإذا كان تلقيب علقمة الفحل بهذا اللقب هو من أجل التفريق بينه وبين علقمة بن سهل الخصي، الذي أدرك عهد عمر، فإن هذا يعزز ما ذكرته بعض الروايات من أن علقمة الفحل قد عاصر حسان بن ثابت وآخرين ممن أدركوا الإسلام. وقد ذكر الآمدي أن تلقيب علقمة بالفحل كان من أجل التفرقة بينه وبين علقمة الخصي. انظر: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، *المؤتلف والمختلف*، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص ٢٢٧.

وحدها. ونحن لا نجد صعوبة في قبول أن أم جندب أو أحد الشاعرين قد اقترح أن تأتي القصيدتان متفقتين في الموضوع سواء أكان وصف الناقة والفرس، أم وصف الصيد، أم أي موضوع آخر. أما الشيء الذي نشك في صحته ونرجح أنه قد أضيف إلى القصة في وقت متأخر فهو ما أشارت إليه رواية ابن شبة وروايتا ابن قتيبة من اشتراط اتفاق القصيدتين في الروي والقافية؛ لأن هذين الشرطين لم يردا في الروايات المنسوبة إلى قدماء الرواة المشهورين في علم الرواية، ولأنه بجانب ذلك، وكما ذكر الأستاذ طه أحمد إبراهيم، يُشَكّ في أن جاهليًّا يدرك الفرق بين الروي والقافية حسب المعنى المعطى لهما في علمي العروض والقافية.(٥٠) هذا بالنسبة للشروط التي قيل إن أم جندب قد اشترطتها. أما بالنسبة للحكم نفسه فإننا نجد جميع الروايات قد اتفقت على أن أم جندب قد حكمت لعلقمة دون امرىء القيس، ولكن هذه الروايات قد اختلفت في أمر هذا الحكم هل وقع على الفرس؟ أم على الشعر؟ رواية الأصمعي ورواية أبي عمرو الشيباني تنصان ــ كما ذكرنا ــ على أنها قالت: «فرس ابن عبدة أجود من فرسك». فالحكم منصب على الفرس كما صُوِّرَ في الشعر.

---

(٥٠) إبراهيم، *تاريخ النقد*، ص ٢٢. لقد شككنا في شرط اتفاق القصيدتين في الروي والقافية مع معرفتنا بما نسب إلى الجاهليين من معرفتهم ببعض العيوب التي قد تلحق القافية كالإقواء الذي قيل إنه قد عيب على النابغة الذبياني وعلى بشر بن أبي خازم، ومع معرفتنا أيضًا بما ادعاه ابن فارس من أن الإعراب والعروض كانا علمين قديمين، وأتت عليهما الأيام وقلًا في أيدي الناس ثم جددهما أبو الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي. وقد استدل ابن فارس على دعواه بأن العروض كان متعارفًا معلومًا «باتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا ـ أو من قال منهم: إنه شعر فقال الوليد بن المغيرة منكرًا عليهم: لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر، هزجه، ورجزه، وكذا وكذا، فلم أره يشبه شيئًا من ذلك» ثم أضاف ابن فارس: «أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟» ونحن لا ننكر أن الجاهليين كانوا يميزون بين بحور الشعر، ولا ننكر أنهم كانوا يلتزمون القافية وحرف الروي، ولكننا نشك فقط في أنهم كانوا يعرفون المدلول الاصطلاحي المعطي لهاتين الكلمتين في علم القافية. انظر المرزباني، *الموشح*، ص ص ١١، ٤٥ ـ ٤٧، ٨٠ ـ ٨١؛ أحمد بن فارس بن زكريا، *الصاحبي*، تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٧م)، ص ص ١٣ ـ ١٤؛ أبو محمد عبدالملك بن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق، مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، مج ١ (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) ص ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

والبيت الذي أفردته أم جندب وحكمت به لعلقمة ورد إلينا بروايات مختلفة. فهو في روايتي ابن قتيبة، ورواية ابن شبة:

فأدركـــهـــنَّ ثانـــيًا من عنـــانـــه يمـــر كمـــرّ الـــرائـــح المـتـحلب

وهو في رواية أبي عبيدة:

فأدركـــهُ حتـى ثنـى من عنـــانـــه يمـــر كمـــرّ الـــرائـــح المـتـحلب

أما في رواية المفضل فلم يُذْكَر إلا صدر البيت وهو:

فأدركـــهُـــنَّ ثانـــيًا من عنـــانـــه . . . . . البيت

وهو في رواية أبي عمرو الشيباني بيت آخر مختلف تمامًا وهو قول علقمة:

إذا ما اقـتنصنـــا لم نَقُـــدْهُ بجُنَّـــةٍ ولكن ننـــادي من بعيد ألا اركب

وهو في رواية الأصمعي:

فأقبـــل يهوي ثانـيًا من عنـــانـــه يمـــر كمـــرِّ الـــرائـــح المـتـحلب

وقد ورد البيت نفسه في *ديوان علقمة* على هذا النحو:

فأتـــبـــع آثـــار الـشياه بصـــادق حثيث كغيث الـرائح المتحلب[٥١]

وإذا استبعدنا البيت الذي ورد في رواية أبي عمرو الشيباني لأنه مختلف تمامًا عن بقية الروايات، فإن البيت الذي أوردته الروايات الأخرى، مهما اختلفت رواياته، يُصوّرُ فرسًا أكرم وأنشط من فرس امرىء القيس الذي صوره في بيته الذي يقول فيه:

فللســوط ألهــوب ولـلســاق درة وللزجـر منـه وقع أهوج منعب[٥٢]

---

(٥١) علقمة بن عبدة الفحل، *ديوان علقمة الفحل*، بشرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، مراجعة فخر الدين قباوة، ط ١ (حلب: دار الكتاب العربي، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص ٩٤. هذا وتوجد في صلب الصفحة ٩٥ من الديوان روايتان أخريتان للبيت قال المحققان إنهما لم تردا إلا في بعض النسخ الخطية وهذا نصهما:

«(ويروى

فأدركـــهُـــنَّ ثانـــيًا من عنـــانـــه يمـــر كمـــرّ الـــرائـــح المتحلب)

[ويروى:

فأقبـــل يهوى ثانيًا من عنـــانـــه] . . . . . »

(٥٢) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥١.

وقد يقول قائل إن أم جندب لم توضح ما طلبت من الشاعرين فِعْلَهُ توضيحًا دقيقًا، فهي لم تبين هل هي تريد أن يصف الشاعران فرسيهما بالصفة المثالية للفرس أم بالصفة الموجودة فيها على الحقيقة؟ وأنه لهذا السبب فقد وصف علقمة فرسه بصفات أقرب إلى المثالية ووصف امرؤ القيس فرسه بصفاتها الواقعية.

إن هذا الاعتراض يدفعه أن الصفة التي اشتهر بها الفرس هي السرعة فأي إخلال بها يكون عيبًا في الفرس ذاته، لأنه إذا قيل: «فرس» ينصرف الذهن رأسًا إلى السرعة وكرم الأصل. كذلك الحال إذا قيل «حمار» فإن الذهن ينصرف إلى البلادة. فلا يتعين إذن على أم جندب أن تشفع قولها «تصفان فيه الخيل» بكلمة «الجيدة أو الأصيلة» لأن ذلك معروف ضمنًا.

أما بخصوص ما يمكن أن يقال: إن امرأ القيس قد وصف فرسه بالصفات الواقعية التي يتصف بها فرسه وأن تلك الصفات ليست بطاعنة في جودة الفرس وسرعته، لأن امرأ القيس إذا كان قد جاء في البيت الذي ذكرته أم جندب بما يدل على أن الفارس قد احتاج إلى أن يستعين على حث الفرس على الجري بالأمور الثلاثة التي ذكرها، فإنه قد شفع ذلك البيت ببيت يدل على نشاط فرسه وسرعة عدوه وإدراكه للطريدة من غير ما تعب حيث قال:

فأدركَ لم يَجْهَـد ولم يَثْـنِ شأوه يمـرُّ كخـذروف الـوليد المثقَّبِ

والخيل أنواع: منها نوع ينطلق إلى هدفه بدون أية إثارة أو تحريك، ومنها نوع لا يعطي أفضل ما عنده إلا عندما يدرك أن راكبه مسيطر عليه ومتمكن منه كلَّ التمكن. فالشاعران إذن قد وصفا نوعين مختلفين من الخيل وكل منهما جيد في جنسه.

إن هذا القول فيه تكلف، إذ ما من شك في أن الفرس الذي صوره علقمة في بيته أجود من الفرس الذي صوره امرؤ القيس في بيتيه.[٥٣]

---

(٥٣) لقد تحدث أرسطو عن تصوير الشاعر للحَدَث الذي وقع فعلاً، وتصويره لما يمكن أن يحدث وأيهما ألصق بمهمة الشاعر فقال: «. . . إن مهمة الشاعر الحقيقية ليست في رواية الأمور كما وقعت فعلاً، بل رواية ما يمكن أن يقع.» انظر: أرسطو طاليس، *فن الشعر*، ترجمة عبدالرحمن بدوي =

هذا بالنسبة لما قيل من أنها قد حكمت على الفرس كما صُوِّرَ في الشعر، لا على الشعر نفسه. أما بالنسبة لما قيل من أنها قد حكمت على الشعر فقد ورد ذلك في أربع من الروايات التي أوردناها وهي روايات ابن قتيبة في *الشعر والشعراء*، وأبي عبيدة، والمفضل، وعمر بن شبة، التي أجمعت على أن أم جندب قد قالت لامرىء القيس: «علقمة أشعر منك.» ولكن هذه الروايات تتبع حكم أم جندب هذا بتعليل منسوب إليها يجعل حكمها منصرفًا إلى الفرس وإن كان قد نُصَّ على أنه متجه إلى الشعر؛ حيث قد اتفق التعليل في هذه الروايات الأربع مع التعليل الوارد في الروايتين السابقتين اللتين نُصَّ فيهما على أن الحكم قد انصب على الفرس. فقد ذكرت هذه الروايات الأربع ما مضمونه أن أم جندب قد قالت معللة لتفوق علقمة على امرىء القيس: «رأيتك ضربت فرسك بسوطك، وحركته بساقك، وزجرته بصوتك، وأدركت الصيد ثانيًا من عنانه يمر كمرِّ الرائح المتحلب».(٥٤) ولا فرق بين قولها هذا وبين قولها الذي مرَّ بنا منذ قليل والذي فضلت فيه علقمة نظرًا لجودة فرسه.

فأما أن تكون أم جندب قد حكمت لفرس علقمة على فرس امرىء القيس فهذا، كما ذكرنا، أمر يسهل قبوله، ولكن هذا الحكم يخرج القصة عن سياقها؛ لأن الشاعرين قد تنازعا في أيُّهما أشعر ولم يتنازعا في أيُّ فرسيهما أجود، ولذا فإن الحكم بتفضيل فرس أحدهما على الآخر حكم خارج عن الموضوع الذي طُلِبَ من أم جندب أن تحكم عليه وهو الشعر.

أما بخصوص ما قيل من أنها قد فضلت شعر علقمة على شعر امرىء القيس، حتى وإن كان تعليلها قد جاء مرتبطًا بصفات الفرس، فأمر يحتاج إلى بعض التأمل؛ لأن أم جندب ستكون قد أخَلَّتْ كثيرًا بالمعايير التي ينبغي مراعاتها في هذا المجال. فهي مثلاً قد

(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣م) ص ٢٦. وقد ذكر أرسطو كذلك أن الشعراء «يُحَاكُون إما من هم أفضل منا، أو أسوأ، أو مساوون لنا.» وأضاف أن هوميروس مثلاً يصور أشخاصه أعلى مما هم في الواقع. انظر أرسطو طاليس، *فن الشعر*، ص ص ٨ - ٩.

(٥٤) هذا هو نص رواية المفضل. انظر المرزباني، *الموشح*، ص ص ٣١ - ٣٢. وما هو مذكور في هذه الرواية يتفق في مضمونه مع ما هو منصوص عليه في روايات ابن قتيبة، وأبي عبيدة، وابن شبة التي أوردناها في أول هذا البحث.

حكمت على شعر الشاعرين من خلال حُكْمِهَا على بيت واحد لكل منهما، وهي لم تكلف نفسها عناء استقراء القصيدتين والمقارنة بينهما بالتفصيل، ولم تراع اعتماد علقمة على امرىء القيس في كثير من أبياته، ناهيك عن إهمالها ما يتطلبه الحكم الموضوعي على شعر الشاعرين من ضرورة استقراء شعرهما كله.[٥٥] ولكننا لا نطالب أم جندب بما ليس في وسعها، ولا نريد أن نحاكمها إلى مقاييس وُجِدَتْ بعد عصرها، ومع اقتناعنا بهذا لا نستطيع إغفال الإشارة إلى أن أم جندب إذا كانت تريد أن تحكم على شعر شاعر ما فإن عليها أن تفحص الشعر نفسه، وتتأمل ألفاظه ومعانيه، وتدرس صياغته وأسرار تأليفه، وتتبين مدى قدرة الشاعر على التعبير عن المعاني التي يريد إبرازها بغَضِّ النظر عن كون تلك المعاني جيدة في ذاتها أم رديئة. فإذا كان أحد الشاعرين، مثلاً، قد وصف فرسًا بليدًا بشعر جيد فما ينبغي له أن يؤخر ويقدم عليه شاعر وصف فرسًا كريمًا بشعر أقل جودة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا إذا عُدْنَا إلى القصيدتين اللتين أنشدهما الشاعران أمام أم جندب وأخذنا بما ورد في أغلب الروايات السابقة من أن امرأ القيس هو الذي ابتدأ الإنشاد، وبأن الموضوع الذي طلبت أم جندب من الشاعرين أن ينظما فيه هو وصف الناقة والفرس والصيد، وذهبنا نقارن بين القصيدتين فيما يخص هذه الموضوعات الثلاثة وما يتصل بها، وضربنا صفحًا عن بقية أبيات القصيدة ــ سنجد عجبًا ــ سنجد علقمة قد أورد أبياتًا كثيرة منسوبة لامرىء القيس، وبعض هذه الأبيات أوردها علقمة دون أيّ تغيير، وبعضها أورده بتغيير قليل، وبعضها أخذ معناه وغيَّرَ في ألفاظه.[٥٦] ولسنا نُنْكِرُ

---

(٥٥) لقد أوضح الدكتور بدوي طبانة أن أم جندب لم تصدر في حكمها «عن علة معقولة أو نظرة عميقة في قصيدتي الشاعرين، ولم يستوعب رأيها ما في القصيدتين كاملتين من الصور الكثيرة، والمعاني المتعددة، ولم تراع فضل الإمام على المؤتم، ولم تدخل في ميزانها ذلك الأخذ الظاهر، وتلك الموافقة التي حصلت في كثير من أبيات القصيدتين.» انظر: طبانة، *دراسات*، ص ص ٥٤ ـ ٥٥؛ وانظر: إبراهيم، *تاريخ النقد*، ص ٢٢.

(٥٦) مصطفى صادق الرافعي، *تاريخ آداب العرب*، مج ٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٢١٨؛ إبراهيم، *تاريخ النقد*، ص ٢١؛ طبانة، *دراسات*، ص ص ٥٤ ـ ٥٦؛ عبدالرزاق حسين، *علقمة*، ص ١٢٨.

أن بعض هذا التكرار كان نتيجة لخطأ وقع فيه الرواة الذين لم يحققوا قائل تلك الأبيات فكانت النتيجة أنهم نسبوها إلى الشاعرين كليهما، ولقد تنبه أبو عبيدة إلى هذا الخلط الحاصل في القصيدتين فقال في تقديمه لأبيات في وصف الخيل من قصيدة علقمة التي عارض بها امرأ القيس: «وقال علقمة أيضًا، وقد يُخْلَطُ قوله هذا بشعر امرىء القيس بن حجر. وقد نَسَبْتُ شعرَ امرىء القيس إليه وأفردته من شعر علقمة.»(٥٧)

وقد أورد أبو عبيدة أربعة عشر بيتًا قالها علقمة في وصف الخيل(٥٨) ثم اتبعها بأحد عشر بيتًا قالها امرؤ القيس في الموضوع نفسه.(٥٩) ومعظم الأبيات التي أوردها للشاعرين موجود في رواية الأصمعي للقصيدتين في الديوانين، ولكن خمسة أبيات مما نسبه أبو عبيدة

---

(٥٧) أبو عبيدة معمر بن المثنى، *كتاب الخيل*، ط ١ (حيدر أباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٨هـ)، ص ١٣٦.

(٥٨) الأبيات التي أوردها لعلقمة هي:

وقد اغتدي والطير في وكناتها ... وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاحه ... طراد الهوادي كل شأو مغرب
بفوج لبَانُهُ يُتمُّ بريمه ... على نَفْث راق خشية العين مجلب
بذى ميعة كأن أدنى سقاطه ... وتقريبه هونا دآليل ثعلب
عظيم طويل مطمئن كأنه ... بأسفل ذي ياوان سرحة مرقب
كثير سواد اللحم ما كان بادنا ... وفي الضمر ممشوق القوائم شوذب
ممر كعقد الأندري يزينه ... مع العتق خلق مفعم غير جأنب
كميت كلون الأرجوان نشرته ... غداة الندى من الصوان المكعب
له عنق حشر كأن لجامه ... يعالي به في رأس جذع مشذب
وعين كعين البكر حين تديرها ... بمحجرها تحت النصيف المنقب
وجوف هواء تحت متن كأنه ... من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب
قطاة ككردوس المحالة أشرفت ... على كاهل مثل الغبيط المذأب
وغُلب كأعناق الضباع مضيغها ... سلام الشظى يغشى بها كل مركب
وسمر يفلقن الظراب كأنها ... حجارة غَيْل وارسات بطحلب

انظر: أبو عبيدة، *كتاب الخيل*، ص ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٥٩) الأبيات التي أوردها لامرىء القيس هي:

وقد اغتدي قبل العطاس بهيكل ... أقَبَّ كيعفور الفلاة محنب
يراد على فأس اللجام كأنما ... يراد به مرقاة جذع مشذب =

إلى علقمة جاءت منسوبة إلى الشاعرين كليهما في رواية الأصمعي مع شيء من الاختلاف في الرواية.[٦٠] كما أن أحد الأبيات التي نسبها أبو عبيدة إلى امرىء القيس جاء منسوبًا إلى الشاعرين كليهما في رواية الأصمعي، مع شيء من الاختلاف في الرواية أيضًا.[٦١]

ونظرًا إلى أن الأبيات المشتركة بين القصيدتين، في وصف الناقة، والفرس، والصيد، قد وردت في ديواني الشاعرين كليهما، وقد روى الديوانين رواة ثقاة فإننا سنأخذ هذه

=

له أيطلا ظبي وساقا نعامة ... وصهوة عير قائم فوق مرقب
وسامعتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب
له حارك كالدعص لبَّدَه الندى ... إلى سَنَد مثل الرتاج المضبب
وعيناه كالماويتين ومحجر ... إلى سند مثل الصفيح المنصب
إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ... تقول هزيز الريح مرت بأثأب
ضليع إذا استدبرته سَدَّ فرجه ... بضاف فويق الأرض ليس بأصهب
ويخضد في الآرى حتى كأنما ... به عُرَّة أو طائف غير معقب
فللزجر أُلهوب وللسوط منه وقع أخرج مهذب
وللساق درّة
كأن دماء الهاديات بنحره ... عُصارة حناء بشيب مخضّب

انظر: أبو عبيدة، *كتاب الخيل*، ص ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٦٠) الأبيات الخمسة التي نسبها أبو عبيدة إلى علقمة ونسبها الأصمعي إلى الشاعرين كليهما مع اختلاف في الرواية هي:

وقد اغتدي والطير في وكناتها ... وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاحه ... طراد الهوادي كل شأو مغرب
وعين كعين البكر حين تديرها ... بمحجرها تحت النصيف المنقب
قطاة ككردوس المحالة أشرفت ... على كاهل مثل الغبيط المذأب
وسمر يفلقن الظراب كأنها ... حجارة غيل وارسات بطحلب

انظر: أبو عبيدة، *كتاب الخيل*، ص ص ١٣٦ - ١٣٧؛ وقارن هذه الأبيات على التوالي مع: علقمة، *الديوان*، (رواية الأصمعي من نسخة الأعلم)، ص ص ٢٩، ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١؛ امرؤ القيس، *الديوان*، (رواية الأصمعي من نسخة الأعلم)، ص ص ١، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٤٧.

(٦١) البيت المشار إليه هو:

وسامعتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب

انظر: أبو عبيدة، *كتاب الخيل*، ص ١٣٨؛ وقارن مع: امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٨. علقمة، *الديوان*، ص ٨٩.

الأبيات على أنها للشاعرين كليهما وسنكتفي برواية الأصمعي التي أوردها الأعلم الشنتمري في شرحه لديواني الشاعرين والتي وُصِفَتْ بأنها أصح الروايات[٦٢]، وسنورد أبيات امرىء القيس مسبوقة بالحرف (ق) وأبيات علقمة مسبوقة بالحرف (ع).

ق - وإنك لم تقطع لُبانة عاشق بمثل غدو أو رواح مؤوب [٦٣]
ع - فإنك لم تقطع لُبانة عاشق بمثل بكور أو رواح مؤوب [٦٤]
ق - وقد اغتدي والطير في وُكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب [٦٥]
ع - وقد اغتدي والطير في وُكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب [٦٦]
ق - بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب [٦٧]
ع - بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب [٦٨]
ق - ويخطو على صُمّ صلاب كأنها حجارة غَيْل وارسات بطحلب [٦٩]
ع - وسمر يفلقن الظراب كأنها حجارة غَيْل وارسات بطحلب [٧٠]
ق - وعين كمرآة الصَنَّاع تديرها لمحجرها من النصيف المنقب [٧١]
ع - بعين كمرآة الصَنَّاع تديرها لمحجرها من النصيف المنقب [٧٢]
ق - له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ربرب [٧٣]

---

(٦٢) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ص ٣ - ٤، ٤٠ وما بعدها؛ علقمة، *الديوان*، ص ص ١٢ - ١٣، ٢٩، ٧٩ ومابعدها.
(٦٣) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٤.
(٦٤) علقمة، *الديوان*، ص ٨٥.
(٦٥) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٦.
(٦٦) علقمة، *الديوان*، ص ٨٨.
(٦٧) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٦.
(٦٨) علقمة، *الديوان*، ص ٨٨.
(٦٩) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٧.
(٧٠) علقمة، *الديوان*، ص ٩١.
(٧١) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٨.
(٧٢) علقمة، *الديوان*، ص ٨٦.
(٧٣) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٨.

ع ـ له حُرَّتَـان تعـرف العـتق فيهـما كسـامعتي مذعـورة وسط ربـرب (٧٤)
ق ـ وأسـحَـمَ رَيَّان العـسيب كأنـه عثـاكيل قِنْـوٍ من سُمَيْحَـةَ مُرْطِب (٧٥)
ع ـ كأنها بِحَـاذَيهـا إذا ما تشـذرت عثـاكيل عِذْقٍ من سُمَيْحَـةَ مُرطب (٧٦)
ق ـ يدير قطاة كالمحـالـة أشرفـت إلى سَنَـدٍ مثـل الغبيط المـذأب (٧٧)
ع ـ قطاة ككـردوس المحـالـة أشرفت إلى سَنَـدٍ مثـل الغبيط المـذأب (٧٨)
ق ـ فبـينـا نعـاج يرتـعـين خميلة كمشي العـذارى في الملاء المهدَّب (٧٩)
ع ـ رأينـا شياهـا يرتـعـين خميلة كمشي العـذارى في الملاء المهدَّب (٨٠)
ق ـ فكـان تنـادينـا وعَـقْـدَ عذاره وقـال صحـابي قد شأونك فاطلب (٨١)
ع ـ فبـينـا تمارينـا وعَـقْـدَ عذاره خرجـن علينـا كالجـمان المثقب (٨٢)
ق ـ وولّى كشـؤبـوب الـعشي بوابـل ويخـرجـن من جَعْـد ثراه منصَّب (٨٣)
ع ـ فأتـبـع آثـار الـشياه بصـادق حثيث كغيث الـرائـح المتحلب (٨٤)
ق ـ فأدرك لم يَجْهَـدْ ولم يَثْـنِ شأوَهُ يمـر كخـذروف الـوليد المثقب (٨٥)
ع ـ فأدركـهُـنَّ ثانـيًا من عنـانـه يمـرّ كمـرّ الـرائـح المتحلب (٨٦)

---

(٧٤) علقمة، *الديوان*، ص ٨٩.
(٧٥) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٨.
(٧٦) علقمة، *الديوان*، ص ٨٦.
(٧٧) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٤٩.
(٧٨) علقمة، *الديوان*، ص ٩٠.
(٧٩) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٠.
(٨٠) علقمة، *الديوان*، ص ٩٣.
(٨١) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٠.
(٨٢) علقمة، *الديوان*، ص ٩٤.
(٨٣) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٠.
(٨٤) علقمة، *الديوان*، ص ٩٤.
(٨٥) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥١.
(٨٦) علقمة، *الديوان*، ص ٩٥؛ وهذا البيت روايةٌ أخرى لبيت علقمة السابق:
فأتـبـع آثـار الـشياه بصـادق حثيث كغيث الـرائـح المتحلب

ق - ترى الفأر في مستنقع القاع لاحبًا على جدد الصحراء من شدِّ مُلْهِب (٨٧)
ع - ترى الفأر عن مسترغب القدرِ لائحًا على جدد الصحراء من شدِّ ملهَب (٨٨)
ق - خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن وَدْقٌ من عشي مجلب (٨٩)
ع - خفا الفأر من أنفاقه فكأنما تخلله شؤبوب غيث منقب (٩٠)
ق - فعادى عداءً بين ثور ونعجة وبين شَبُوب كالقضيمة قَرْهَب (٩١)
ع - وعادى عداءً بين ثور ونعجة وتيس شَبُوب كالهشيمة قَرْهَب (٩٢)
ق - وظل لثيران الصَّريم غماغِمٌ يُدَاعِسُها بالسَّمْهَري المعَلَّب (٩٣)
ع - فظل لثيران الصَّريم غماغِمٌ يُدَاعِسُهُنَّ بالنضي المعلب (٩٤)
ق - فكابٍ على حُرِّ الجبين ومتَّقٍ بمِدْرِيَّة كأنها ذَلْقُ مشعب (٩٥)
ع - فهاوٍ على حُرِّ الجبين ومتقٍ بمِدراتِهِ كأنها ذَلْقُ مشعب (٩٦)
ق - وقلنا لفتيان كرام ألا انزلوا فعالُوا علينا فضل ثوب مُطَنَّب (٩٧)
ع - فقلنا: ألا قد كان صيد لقانص فَخَبُّوا علينا فضل بُرْدٍ مُطَنَّبَ (٩٨)
ق - كأن عيونَ الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقب (٩٩)
ع - كأن عيونَ الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقب (١٠٠)

---

(٨٧) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥١.
(٨٨) علقمة، *الديوان*، ص ٩٥.
(٨٩) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥١.
(٩٠) علقمة، *الديوان*، ص ٩٥.
(٩١) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٢.
(٩٢) علقمة، *الديوان*، ص ٩٧.
(٩٣) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٢.
(٩٤) علقمة، *الديوان*، ص ٩٦.
(٩٥) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٢.
(٩٦) علقمة، *الديوان*، ص ٩٦.
(٩٧) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٢.
(٩٨) علقمة، *الديوان*، ص ٩٧.
(٩٩) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٣.
(١٠٠) علقمة، *الديوان*، ص ٩٧.

ق - نَمُشُّ بأعراف الجياد أكفَّنَا إذا نحن قمنا عن شواء مصهَّب [١٠١]
ع - فظل الأكفُّ يختلفن بحاذٍ إلى جؤجؤ مثل المَدَاك المخضب [١٠٢]
ق - وَرُحْنا كأنا من جُؤاثي عشيةً نعالي النّعاجَ بين عِدْلٍ وَمُحْقَب [١٠٣]
ع - وَرُحْنا كأنا من جُوَاثي عشيةً نعالي النّعاجَ بين عِدْلٍ وَمُحْقَب [١٠٤]
ق - وراح كتيس الرَّبْلِ ينفضل رأسَهُ أذَاةً به من صائكٍ مُتَحَلِّب [١٠٥]
ع - وراح كشاة الرَّبْلِ ينفض رأسَهُ أذَاةً به من صائكٍ مُتَحَلِّبِ [١٠٦]

وقد حاول الدكتور بدوي طبانة إيجاد مخرج لما ورد في القصيدتين من توافق، ومع أنه قد ذكر أن الموافقة حصلت في كثير من أبيات القصيدتين[١٠٧] نجده يقول: «وليس بغريب أيضًا أن يشترك شاعران في بيتين أو أكثر فإن مقام الارتجال قد ينسي الشاعر أن البيت لغيره فيحسبه لنفسه، وقد وقع في مثل هذا شاعر معدود من فحول الجاهليين، وهو طرفة بن العبد في بيته المعروف من المعلقة:

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلّد

الذي أخذه بأكثر ألفاظه من قول امرىء القيس في معلقته:

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

ولم يغير فيه سوى لفظ القافية. ولا يستبعد أن تكون الأبيات المتحدة في القصيدتين من أوهام الرواة، أو أن علقمة قد ساقها في شعره على سبيل ما عرف عند البديعيين أخيرًا باسم (التضمين)». [١٠٨]

---

(١٠١) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٤.
(١٠٢) علقمة، *الديوان*، ص ٩٧.
(١٠٣) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٤.
(١٠٤) علقمة، *الديوان*، ص ٩٨.
(١٠٥) امرؤ القيس، *الديوان*، ص ٥٤.
(١٠٦) علقمة، *الديوان*، ص ٩٨.
(١٠٧) طبانة، *دراسات*، ص ٥٤.
(١٠٨) طبانة، *دراسات*، ص ٥٦.

ولو كانت المسألة مسألة بيتين أو ثلاثة لجاز لنا أن نتجاوز ونقول: إن موقف الارتجال قد أنسى علقمة أن امرأ القيس قد سبقه إلى تلك الأبيات. ولكن الموافقة، كما رأينا، حصلت في أبيات كثيرة مما ينتفي معها أن تكون المسألة مسألة نسيان. أما أن تكون الأبيات المتحدة في القصيدتين ناتجة عن أوهام الرواة فهذا هو ما نرجحه ونرى أنه هو أساس المشكلة. وأما ما ذكره الدكتور طبانة من أن علقمة ربما يكون أورد أبيات امرىء القيس على سبيل التضمين، فهذا أمر يدفعه أن العادة جرت بأن يكون التضمين جزءًا من بيت، كما أنه قد يكون بيتًا أو بيتين. أما أن يصل التضمين إلى ما يقرب من نصف القصيدة فهذا ما لم تَجْرِ به عادة.(١٠٩)

بقي أن نذكر هنا أن امرأ القيس، كما ذكرت جميع الروايات، لم يرضَ عن حكم أُمّ جندب بل رفضه ونفى أن يكون سبب تفضيلها شعر علقمةَ على شعره ناتجًا عن تفوق شعر علقمة، وإنما كان ناتجًا عن كرهها لشخصه وميلها إلى علقمة.(١١٠) وقد ذكرت معظم الروايات أن قضية الحب والكره هذه قد تطورت إلى مرحلة حاسمة في علاقة الشاعرين بأم جندب، فقد طلق امرؤ القيس زوجه على إثر ذلك الحكم الذي أصدرته وخلفه عليها علقمة.

---

(١٠٩) انظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٤ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٢م)، مج ٢، ص ص ٨٤ - ٨٨؛ وانظر: زكي الدين عبدالعظيم ابن أبي الإصبع المصري، *تحرير التحبير*، تحقيق حفني محمد شرف (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ)، ص ص ١٤٠ - ١٤٢.

(١١٠) يقول الرافعي معلقًا على حكم أم جندب بين الشاعرين «وما أرى أم جندب إلا أرادت ما تريد الفارك من بعلها، فقرعت أنفه على حمية ونخوة وهي تعلم أنها لابد مُسَرَّحة في زمام هذه الكلمة، وإلا فالبيت الذي توافيا على معناه ليس بموضع تفضيل، لأن في قصيدة امرىء القيس ما هو أبلغ في هذه الصنعة من بيت علقمة وهو قوله:

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثأب

. . . ولكن من التمس عيبًا وجده، ومن تدبر صنعة امرىء القيس وجد السوط لا يفارقه فلعلها كانت عادته». انظر: الرافعي، *تاريخ آداب العرب*، مج ٣، ص ٢١٨.

والذي ذكرته الروايات التي أوردناها من أن امرأ القيس كان مُفَرَّكًا من النساء، وأن أم جندب قد كرهته منذ ابتنى بها، وأنها قد فضلت شعر علقمة على شعره، بِوَحْي من ذلك الكُره، يثير تساؤلات تصعب الإجابة عنها: ألا يمكن، مثلاً، أن تكون قصة التحكيم برمتها قد جيء بها تعزيزًا للفكرة القائلة بأن امرأ القيس كان مُفَرَّكًا من النساء؟ ثم إنه إذا كانت أم جندب تكره امرأ القيس حقًّا وكان امرؤ القيس يعلم ذلك عنها قَبْلاً أليس غريبًا أن يرضى بها حَكَمًا بينه وبين علقمة؟

وأم جندب التي احتكم الشاعران إليها لم يُعْرَفْ عنها أنها كانت متميزة بفهم الشعر والحكم عليه، فنحن لم نعثر لها على ملاحظات نقدية أو أحكام على الشعراء غير ما ورد في قصة التحكيم هذه. ولم يسجل لنا تاريخ الأدب شيئًا آخر عن حياتها مع امرىء القيس أو عن حياتها بعد ذلك مع علقمة غير ما هو مذكور في روايات قصة التحكيم التي أوردناها.

وإذا كانت القصيدتان اللتان أنشدهما الشاعران أمامها هما بالصفة التي رواها الأصمعي، وأخذنا بما ذُكِرَ من أن امرأ القيس هو الذي ابتدأ في الإنشاد فإن علقمة يكون قد سطا على شعر امرىء القيس، وَحُقَّ لامرىء القيس بعد ذلك أن يعترض بعنف على حكم أم جندب وأن يصفها بالانحياز إلى علقمة.

Umm Jundab's Criticism of the Poetry of Umru'-al-Qays and 'Alqamah al-Fahl

Muhammad 'Abdal-Rahman al-Hadlag
Associate Professor, Department of Arabic, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. The controversial story of the poetic competition between Umru'-al-Qays and 'Alqamah al-Fahl, two leading pre-Islamic poets, and their appointing umm Jundab as an umpire, is discussed in this paper. It is a critique of the different versions of this story. Finally Umm Jundab's judgement is evaluated.